Academic Knowledge 4 (2), 224-248.

Makalenin Türü / Article Type	**: Araştırma Makalesi / Researh Article**
Geliş Tarihi / Date Received	**: 18.10.2021**
Kabul Tarihi / Date Accepted	**: 19.11.2021**
Yayın Tarihi / Date Published	**: 31.12.2021**
Yayın Sezonu / Pup Date Season	**: Güz / Autumn**

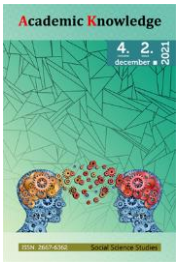

تنديد الاستعمار في الشعر العربي من الغرب الإفريقي

Mohamadou Aboubacar MAİGA*

الكلمات المفتاحية:

الأدب،
الشعر،
إفريقيا الغربية،
استعمار،
تنديد،
مقاومة

الملخص

لاقى الشعب الإفريقي أنواعا من التعذيب تحت الاستعمار الأوروبي الذي استهدف أرضهم، ومستقبل أجيالهم في الفترة الواقعة بين القرن الخامس عشر والتاسع عشر الميلاديين، مما دفع بعض شعراء منطقة غرب إفريقيا من الذين كرهوا الاستعمار إلى التعبير عن آمال شعبهم وآلامه عن طريق نظم الشعر؛ لرفع الوعي ضدّ شنيعة الاستعمار، وإدانة الاحتلال، واستثارة الحمية للدفاع عن الأرض والوطن والهوية الإفريقية. ومن هذه المنطلقات يسعى هذا البحث – وفقا للمنهج الوصفي التاريخي والتحليلي – إلى تسليط الضوء على ردّ فعل الشعب الإفريقي في مقاومته الثقافية وصموده أمام المستعمرين، والكشف عن صورة الاستعمار والمستعمرين في الشعر العربي في الغرب الإفريقي، وبيان القضايا والمضامين التي تناولها الشعراء عند التنديد في تلك الحقبة ذات العلاقة بصورة الاستعمار، والتعرّف على أبرز الشعراء الأفارقة الذين كتبوا في هذا المجال، كما يحاول أن يبرز لنا مواقف شعراء المنطقة من هذا الاستعمار. والجدير بالذكر أنّ الشعر العربي الإفريقي كان مرآة تعكس معاناة الشعب الإفريقي تحت ويلات الاستعمار، كما كان أيضا مقاوما إلى جانب الأسحلة والبنادق التي استخدمها الشعب لصدّ زحف العدوّ. وقد تبين من خلال الدراسة أنّ شعراء المنطقة عملوا على توعية الشعب وتنبيهه إلى دسائس المستعمرين، وخططهم وساسيتهم الاستئصالية لكل ممتلكات الشعب الإفريقي من هوية وثقافة وثروات إلخ.

Batı Afrika Arap Şiirinde Sömürgeciliğin Kınanması

Anahtar Kelimeler:

Edebiyat,
Şiir,
Batı Afrika,
Sömürgecilik,
Kınanma,
Direniş

ÖZ

Afrikalılar, MS on beşinci ve on dokuzuncu yüzyıllar arasındaki dönemde, anavatanlarını ve nesillerinin geleceğini hedef alan Avrupa sömürgeciliği altında çeşitli işkence türleriyle karşı karşıya kalmışlardır. Bundan ötürü bölgedeki bazı şairler, şiir aracılığıyla; sömürgeciliğin vahşetlerine karşı farkındalık yaratmak, işgali kınamak ve Afrika topraklarının, vatanının ve kimliğinin savunulması için coşku uyandırmışlardır. Bundan hareketle, bu araştırma -tarihsel ve analitik betimleyici yönteme göre- Afrika halklarının sömürgeciler karşısındaki kültürel direniş ve azminde gösterdikleri tepkiye ışık tutmayı, sömürgecilik ve sömürgeci tavrını ortaya çıkarmayı amaçlamaktadır. Bununla birlikte, batı Afrika Arap şiirini inceleyerek şairlerin sömürgecilik tavrıyla ilgili o dönem için onları kınadıklarında ele aldıkları konularını netleştirmek ve bu alanda yazan en önde gelen Afrika şairlerini belirlemenin yanı sıra serdikleri duruşlarını da göstermeye çalışmaktadır. Çalışma, Afrika Arap şiirinin, sömürgecilik belası altındaki Afrika halkının acılarını yansıtan bir ayna olduğu ve aynı zamanda halkın düşmanın ilerlemesini engellemek için kullandığı silah ve tüfekleri gibi bu şiir de bir direniş aracı olduğu kanıtlamıştır. Batı Afrika şairleri, kendi halkını bilgilendirmek için, sömürgecilerin oyunlarını, Afrika halkının kimlik, kültür, zenginlik vb. tüm varlıklarını ortadan kaldırma plan ve politikaları hakkında uyarmak için çalıştıkları da çalışma yoluyla tespit edilmiştir.

* Dr. Öğr. Üyesi, Tokat Gaziosmanpaşa Üniversitesi, İslami İlimler Facültesi, Arap Dili ve Belagati, f.maiga85@gmail.com, ORCID numarası: 0000-0001-7586-2754

Maiga, M. A. (2021). Tendîdü'l-isti'mâr fi'ş-şi'ri'l-'arabî mine'lgarbi'l-ifrîḳî, *Academic Knowledge* 4(2), 224-248. https://doi.org/10.5281/zenodo.5808977

Denouncing Colonialism in Arabic Poetry from West Africa

Keywords:
Literature,
Poetry,
West Africa,
Colonialism,
Condemnation,
Resistance

ABSTRACT

Africans faced various types of torture under European colonialism, which targeted their homeland and the future of their generations in the period between the fifteenth and nineteenth centuries AD, which prompted some West African poets who hated colonialism to express their hopes and the pain of their peoples through poetry systems; this is to raise awareness against their atrocities, condemn the occupation, and stir up enthusiasm for the defense of African land, homeland, and identity. From this point of view, this research seeks - according to the historical and analytical descriptive method - to shed light on the reaction of the African peoples in their cultural resistance and steadfastness in front of the colonizers, and to reveal the image of colonialism and colonizers in the Arab region through the study of West African poetry, and to clarify the issues and implications that poets addressed when they denounced them for that era related to the image of colonialism, and to identify the most prominent African poets who wrote in this field. It also tries to show us the positions of the poets of the region from this colonialism. The study concluded a number of conclusions, including that Afro-Arab poetry were a mirror reflecting the suffering of the African people under the scourge of colonialism, and it was also a resistance along with the weapons and rifles used by the people to repel the advance of the enemy. It was also found through the study that the poets of the region worked to educate the people and warn of the intrigues of the colonialists, their plan and policy to eradicate all the possessions of the African people of identity, culture, wealth, etc.

مقدمة

لقد استطاع المستعمرون بسط نفوذهم على أراضي منطقة غرب إفريقيا جزءا بعد آخر، واقتسامها فيما بينهم. فباتت هذه الأراضي ضحية لهذا الاحتلال الغربي. فما انجلت خدعة الاستعمار إلاّ وقد بدأت المقاومات والثورات ضدّها في جميع أقطار الغرب الإفريقي، بقيادة أمراء وعلماء من الأفذاذ الذين بعثوا وبثوا روح النضال ضدّ المشاريع الاستعمارية. وقد ساهم بعض شعراء المنطقة في جميع الثورات حيث سخروا أقلامهم، وشعرهم في ذمّ مختلف أشكال قمع الاستعمار الغربي. وكان لهم تأثير كبير على الساحة ضدّ الاستعمار وعلى الدفاع عن أوطانهم. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على دور الشعر كعامل فعّال في مواجهة الاستعمار؛ بغرض إثراء وإخصاب الدرس العربي المتعلق بإفريقيا الغربية، والعمل على إغناء المكتبة العربية في هذا الشأن.

وتتمحور إشكالية البحث حول جملة من القضايا المرتبطة بالتنديد للإستعمار والمستعمرين في المنطقة. وتتسع هذه الإشكالية لعناصر عديدة تتكامل فيما بينها، ويمكن بسطها كالآتي: ما هو الدور الذي لعبه الشعر العربي الإفريقي أثناء فترة الاستعمار؟ وما هي الأحداث التي تناولها الشعر العربي من الغرب الإفريقي طيلة فترة الاستعمار؟ وما هي القضايا التي يحملها الشعر في المنطقة للحفاظ بهويته؟ ومن أبرز الشعراء الذي سخروا أقلامهم في ذمّ الاستعمار والمستعمرين والتنديد بأعمالهم؟

ولمعالجة هذه الإشكالية والتساؤلات وضعنا خطة منهجية تشتمل على مقدمة ومبحثين وخاتمة. تناول المبحث الأول موضوع أهمية الشعر في المنطقة ودوره في مقاومة الاستعمار. وخصص المبحث الثاني للحديث عن صور تنديد الاستعمار الغربي في الشعر العربي الإفريقي. وأنهينا البحث بخاتمة تضمت جملة من النتائج التي توصلت إليها الدراسة. ولإنجاز هذا البحث اعتمدا على جملة من المصادر والمراجع التي تتكون من دواوين شعراء المنطقة، والمقطوعات الشعرية المختلفة. أمّا عن المناهج التي تم التسلح بها في دراسة البحث؛ فقد تم التعويل على المنهج التاريخي الوصفي ثم التحليلي؛ حتى نتمكن من تحقيق الكثير من الأهداف المرجو من وراء هذه الدراسة.

1. أهمية الشعر العربي في الغربي الإفريقي ودوره في مقاومة الاستعمار الغربي

نشطت في منطقة غرب إفريقية إبان الممالك الإسلامية حركة علمية أدبية واسع النطاق سملت مجالات عديدة. فخلف الشعوب المنطقة اسمهامات أدبية بلغت ذوة من النضج، نتيجة الصلات العلمية القائمة بين أدباء المنطقة ونظائرهم في المشرق والمغرب العربين، وثراء البيئة الطبيعة التي استقرّ فيها الأدباء وتنوعها، وكذلك الخصائص الفنية المختلفة التي تشعبت بهذه الاسهامات، من صور التعبير وأساليب البناء وضروب الأخيلة إلخ. ولا نبالغ إذا قلنا بأن الباحث المهتم بقضايا إفريقيا سيعثر في هذه المنطقة على كنوز من الأدب العربي الإفريقي الرائع والعذب مما تشبع فضوله العلمي. وهذا يقودنا أيضا إلى القول بأن فنون الأدب ومنها فنّ الشعر بصفة خاصة لا تزال موضع عناية لدى شعوب المنطقة، يقوضون الشعر ويتذوقونه ويشرحون مضامينه. وسنسلط الضوء في هذا المبحث في حدود أسطر قليلة على أهمية الشعر العربي ومكانته لدى الأفارقة وعلى الدور النضالي الذي مثله أثناء مقاومة الإرهاب الاستعماري.

1.1. أهمية الشعر العربي من الغرب الإفريقي

لقد عرف الشعب الإفريقي فضل لغة الضاد، واجتهدوا في تعليمها، ومنها تدرجوا إلى تعلمّ علوم اللغة العربية وفنونها الأدبية. ويعدّ الشعر العربي أحد مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في القارة الإفريقية، وأشهر الفنون الأدبية التي لقيت اهتماما كبيرا لدى علماء الأفارقة، وحظيت بالنصيب الأوفر في المراكز العلمية والتعليمية من غرب إفريقيا بدءا من أيام الأمبراطوريات الإسلامية العظمى القائمة في المنطقة إلى حدّ يومنا. وإنّ الشعر العربي الذي كتبه الأفارقة شعر غزير جدّا، جدير بالعناية جمعا وتحقيقا ودراسة. ولقد نظم شعراء إفريقيا على وجه العموم، وشعراء غرب إفريقيا على وجه الخصوص في جلّ أغراض الشعر العربي المعروفة لدى الباحثين، إضافة إلى كتاباتهم في الأغراض التعليمية والإجتماعية والسياسية إلخ.

ولا نعرف على وجه التحديد أوّل من قال بالشعر في منطقة غرب إفريقيا؛ إلاّ أنّ المصادر تشير إلى أنه قد نشأ على أيدى مجموعة من الفقهاء، روي عنهم شعر رائق، وذاع هذا الشعر وتناقله الأدباء من بعدهم. فمن الأوائل الذين عرفوا بقول الشعر باللغة العربية الفصحى الشاعر أبو اسحاق إبراهيم الكانمي الأسود النحوي (ت.610هـ/1213م)[1] الذي اكتسب شهرة ة فائقة في المصادر العربية، ونار تقديرا من قبل نقاد العربية. ومن شعره قوله وهو يمدح أبا اسحاق إبراهيم بن يعقوب:

مـــا بعـــدَ بابِ أبي اســـحاقَ منزلـــةٌ يَســـمُو إليهـــا فـــتىً مِثلـــي وَلاَ شَـــرَف

أبعـــدَ مـــا بركـــتُ عيســـي بِســـاحتِه وصِـــرتُ مـــن بحـــرِه اللُّجـــيِّ أغـــترفُ

همَّـــوا بِصَـــرْفِي وقـــدْ أَصْـــبحت معرفـــة فكيـــفَ ذلـــكَ واسِمِـــي لـــيس يُنْصـــرف[2]

ومن الفقهاء الأقدمين الذين قالوا الشعر وأبدعوا العلامة سيدي يحي التادلسي (ت.866هـ/1461م)[3] الذي يقول في قصيدة يرثي فيها شيخه محمد مودب الكابري:

نيـــلُ الـــرَّباحِ أو النّجـــاحِ السَّـــرْمدي والسَّـــيْرُ في الـــنَّهجِ القـــويمِ السَّـــرمدي

فـــازت بـــه (تمبكتـــو) دون مغـــارِبَ ومشـــارق مـــن كـــلِّ قُطْـــرٍ أبعـــدِ

[1] هو شاعر ونحوي، يلقب بوافد شعراء أيضا، ولد في قرية (كانم) من قرى السودان مما يلي صعيد مصرقبيل سنة 550هـ. كان أول من كتب بالعربية في وسط السودان. تلقى الكانمي تعليمه في بلاده قبل أن يرحل إلى المغرب، وكان جيد النظم، متقنا للنحو، وعالما للآداب، ولم يعرف في أرضه شاعر سواه. زار إبراهيم مراكش حوالي 1197-1198 ، واكتسب هناك سمعة كنحوي وشاعر.

[2] انظر: محمد ابن شريفة، *إبراهيم الكانمي: نموذج للتواصل الثقافي بين المغرب والسودان* (الرباط: جامعة محمد الخامس، 1991م)، 28-29.

[3] هو أحد أئمة الفقه والأدب في منقطة غرب إفريقيا، ذاعت صيته وشهرته، وهو ذو باع طويل في الشعر والنظم. له العديد من المؤلفات القيمة.

فـــتباشَرتْ أيـــامُها وتشـــامخت أعلامُهـــا مـــن راسِـــياتٍ زُكَّـــدِ[4]

ومنهم أيضا الشيخ أحمد بابا التمبكتي (ت. 1036هـ/1627م)[5] الذي يقول واصفا نفسه:

لعمـــرِ أبيـــكَ مـــا نُســـبَ المعلَّـــى إلى كـــــرمٍ وفي الـــــدنيا كَـــــريم

ولكـــــن الـــــبلادُ إذا اقشـــــعرّتْ وصـــــوّح نبتُهـــــا رعـــــيَ الهَيْشـــــم[6]

ويقول الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي (ت. 1165هـ/1752م)[7] في الوعظ:

مَـــالِي عَلـــى اللَّهْـــوِ واللّـــذات واللعِـــبِ عَكَفْـــتُ ويْـــحي فَمـــا يَكـــونُ مُنقَلَـــبِي

ولَّى الشَّـــــبابُ وأَقْبَـــــلَ المشيـــــبُ ولَمْ أفِـــقْ ولسْـــتُ بِـــذي عِـــلْمٍ ولا أَدَبِ

قَـــدْ يَنقَضـــي اليَـــوْمُ ثُمَّ اليَـــوْمُ يَتْبَعُـــهُ شَـــهْرٌ وعـــامٌ بَـــل اعْـــوامٌ ولَمْ أَتُـــبِ[8]

ويقول الشاعر المجاهد عبد الله بن فودي (ت.1244هـ/1828م)[9] في قصيدته ''ألا أبلغن'':

ولهـــوُ الشـــبابِ اليـــومَ قـــد بارَ سُـــوقُه وقامـــت علـــى ســـوق الصـــلاح مـــدائح

وأهـــلُ الـــدُّنا اليـــومَ انـــزوى ظـــلُّ جـــاهِهم ومُظهـــرُه ميزانُـــه اليـــوم راجـــح[10]

ونكتفي بهذا القدر؛ إذ المقصود هنا ليس استقصاء من قال الشعر من الفقهاء وأبدع؛ لأنّ ذلك يخرجنا عن المقصود من هذا المقال. هذا، ولا يعلم أحد عدد الدواوين الشعرية أو القصائد التي قرضها علماء وأدباء إفريقيا الغربية، ويذكر المؤرخون أّن منطقة غرب إفريقيا خصوصا دولة غينيا والسنغال ومالي تُعد مثلثا ذهبيّا في إفريقيا، يستطيعُ الباحثُ والدارس الجادُّ أن يجد فيه كنوزاً من روائع الشعر العربي، تختلف من حيث الكم والنوع عما أنتجه شعراء النيجير ونيجيريا مثلاً، ويجد فيها من الخصائص الأسلوبية ما لا يجده في تلك. وهذا كله من

[4] انظر: محمد الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي* (الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، 1982)، 545.

[5] هو أديب وفقيه مالكي ومن مؤرخي التراجم في السودان الغربي. ولد سنة (ت.963هـ/ 1556م), وهو أحد أعلام مدينة تنبكتو والغرب الإسلامي. أثر بمؤلفاته العديدة وعلمه الواسع في منطقته، وكان تأثيره في المغرب الأقصى كبيرا.

[6] انظر: أحمد بابا التمبكتي، *معراج الصعود*، تح. فاطمة العراف (الرباط: معهد الدرات الإفريقية، 2000)، 52.

[7] ولد الشاعر سنة 1091هـ في مدينة ''ولاته'' ويتحلى بقيم علمية وأدبية وأخلاقية عديدة. كان أستاذا فاضلا جليلا عالما فقيها متفننا ماهرا في علم أصول الدين والمنطق والعروض والقوافي، وله اليد الطولى في العربية والحساب وعلم السر موصوفا بذلك مشتهرا به، مفتيا مدرسا.

[8] انظر: محمد أبوبكر البرتلي، *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، تح. محمد إبراهيم الكتابي (بيروت: دار الغرب الأسلامي، 1981)، 46.

[9] ولد الشاعر في إقليم غوبير، شمالي نيجيريا. تكوّن علميًا على يد أعلام وعلماء أسرته، ثم رحل في طلب العلم إلى أكبر مراكز العلم والثقافة غربيّ إفريقيا آنذاك مدينتي: «كانو وتمبوكتو»، وغيرها حتى بلغ المغرب العربي. وكان من المجاهدين في الحركة الإصلاحية التي تزعمها أخوه عثمان بن فودي. له انتاج أدبي وشعري ضخم، كما له العديد من المؤلفات في علوم متنوعة.

[10] انظر: محمد بلو، *إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور* (القاهرة: وزارة الأوقاف، 1964)، 34.

الأدلة القاطعة والحجج البينة على أنّ الشعوب الإفريقية قد أولوا عناية خاصة بهذا الفنّ الذي يدرس في الكتاتيب والمجالس العلمية؛ لغرض تيسير حفظ العلوم. وقد ترك بعض علماء المنطقة بعض الأغراض الشعرية كالهجاء والغزل والمناقضات وغيرها التي ليس من شأنها إضافة أي شيء لطالب العلم.

1.2. دور الشعر العربي الإفريقي في مواجهة الاستعمار

توظيف فنّ الشعر في التنديد للاستعمار ومقاومته ليس بدعة ابتدعها شعراء غرب إفريقيا، ولا هو خاصّ بهم. فلو تتبعنا الآثار الأدبية عبر الزمان والمكان منذ نشأة الفنون الأدبية لوجدنا فنونا وصنوفا من توظيف الشعر وغيره للمقاومة، مما يدل على وجود صلة وثيقة بين الإبداع واحتياجات الإنسان ماديا كان أم معنويا. ونظرا لأهمية الشعر العربي وفعّاليته في المجالس العلمية تم اللجوء إليه في دعم الثورة ضدّ الاستعمار الأوروبي. وقد واجه الشعب الإفريقي الإرهاب الاستعماري بصبر وشجاعة وإيمان عميق بالنصر المؤزر، وأبدى توحدا كبيرا أمام هذا الإرهاب الذي استهدف ثقافته ووطنه وخيرات أرضه. ولا نبالغ إنّ قلنا بإنّ الشعر العربي الذي كتبه شعراء الأفارقة قد اتبع كفاح الشعب الإفريقي في جميع مراحله وأطواره، بل وقد ساهم في التاريخ لبعض الثورات أو الأحداث التي لا نجد لها في بعض الأحيان مصادر تاريخية لتوثيقها.

ويبدو روح الوطنية ساطعا في هذا الشعر، وهو قائم أساسا على الدعوة إلى الجهاد والدفاع عن أرض الوطن والدين الإسلامي في صون القيم الثورية. وبهذا فإن الشعر العربي الإفريقي ظل يدعو إلى التشبث بالقيم النضالية دائما. فالشاعر الإفريقي لم يتخل عن واجبه في استنهاض الهمم وغرس الروح الوطنية لدى الأفراد على مرّ التاريخ، ولا يزال إلى حدّ اليوم يقوم بدوره المنوط به على أكمل وجه. وقد أدى الشاعر الإفريقي دورا إعلاميا مهما في هذا المجال؛ نظرا لغياب وسائل الاتصال والإعلام المتطورة في ذلك الوقت، كما قام برصد مختلف الأحداث التي شهدتها منطقة غرب إفريقيا، بل وسجّلها في الذاكرة مما يمكّننا من اعتماد بعض الأشعار كوثيقة تاريخية لبعض الحوادث التاريخية المهمة التي شهدها المنطقة.

وجدير بالذكر أنّه كان للشعراء مواقف مختلفة تجاههم المستعمرين حين ولوجهم في القارة. إذ أيّدهم ووالاهم قسم من الشعراء، كما كرهم هم ومن والاهم قسم آخر. فمن الشعراء الذين أيدوا وجود الاستعمار الأجنبي في القارة الشاعر السنغالي أحمد بمبا(ت.1345هـ/1927م)[11] الذي يدعو لهم بخير؛ لكونه حظي بالمسالمة معهم بعد إطلاق سراحه من ضيق المنفى والإقامة الجبرية، فيقول:

قــد أصــبحَ المسـلِمون اليــومَ في نِعــمٍ ... لَمَّــا تَــولَّى أمــورًا مــنْ حَــووا رَشــدَا

اللهَ أســـألُ أنْ يَرعـــى لنـــا رُؤســـا ... قَــدْ أخرجُــوا في الأرضِ مــا فَســدَا

إنّ الــبلادَ اسْــتراحَ اليــومَ مــذْ مَلكــتْ ... جماعــةٌ نَشُــروا خــيرًا محَــا أَوَدا[12]

وتأييد الشاعر هذا - على ما يبدو- مبنيّ على بعض من إيجابيات الاستعمار كقضائهم على اللصوص المعروفين ب" تيدو"، وتنظيمهم للمحاكم الإسلامية...الخ .ولم يكن ذلك بدعة منه، إذ نلتقي بأحد شعراء صحراء مالي محمد بن الشيخ[13] يشكر للاستعمار بفضل إنجازاتهم المادية:

---

[11] هو الشيخ أحمد بن محمد بن حبيب الله الملقب " بخديم الرسول " ولد سنة 1854م في مدينة مباكي باوول السينغالية. كان جبلا راسخا في علوم القرآن والحديث،و الفقه بمذاهبه الأربعة وأصوله،والتصوف السني وطودا شامخا في البلاغة والمنطق والعلوم العربية بعد ما تبحر في كل العلوم وتضلع من كل الفنون وأربى على معاصريه.

[12] انظر: عامر صمب، *الأدب السنغالي العربي* (الجزائر: مطبعة الشركة الوطنية. للنشر والتوزيع، 1978)، 2/ 289.

[13] هو أحد شعراء شمال مالي، لم أقف على ترجمة له.

تِلـــكَ فَرنســـا دولـــةٌ مَطبوعـــةٌ بالخـــيرِ في الإعـــلانِ والأَســـرارِ

وعَدالـــــةٌ وسِياســـــةٌ وأمانـــــةٌ وسَماحـــــةُ الرِّفـــــقِ والإيثـــــارِ

وبِـــلادُنا كانَـــت قُبيـــلَ وُرُودِهـــا فَوضَـــى بِحـــالِ الشُّـــؤْمِ والأَكْـــدارِ

والأمـــنُ كـــانَ بهـــا مُحـــالا عادِمـــا والظلـــمُ كـــان طَبيعـــةُ الكِبـــارِ

ســـكانُها كـــانوا بِضِـــيقٍ كامـــلٍ في غايـــةِ الأحـــزانِ والإعْســـارِ

ســـاقَ فرنســـا للخلائـــقِ رحمـــةً فأنـــتَ لكشـــفَ الضُّـــرِ والأضـــرارِ

مَنعـــوا الـــبلادَ مـــن العـــدوِّ ونَهْبـــهِ كَفُّـــوا يـــدَ الغُصَّـــاب والأشـــرارِ[14]

وإلى جانب التنويه بالاستعمار في الأبيات السابقة، اهتم شعراء آخرون بمدح رجال الاستعمار، قوّادهم وحكّامهم على أقاليم المنطقة، وقد يرثوهم بعد موتهم، أمثال الشاعر السنغالي أحمد عيا سي (ت.1405هـ/1984م)[15] الذي مدح الجنرال ديغول في قوله:

هـــاذِي فرنســـا وذِي أولادُهـــا زُمَـــرا حَفَـــوا بِمعنَـــاك لا يَبْغُـــون إلاّكـــا

هُـــمُ الأحبـــةُ إن سَـــادُوا وإن غَلَبـــوا تُفـــدِي نفوسُـــهم في الـــرَّوْع إيَّاكـــا

أبطـــالُ وَردانَ مـــا زلنـــا نُمَجِّـــدُهم مَهمـــا لِنفســـكَ كـــانَ اليـــومَ أَهْـــداكا[16]

وهناك شاعر سنغالي آخر عامر صمب (ت.1408هـ/1987م)[17] الذي بالغ في مدح الجنرال ديغول؛ إذ أعجب به لما صدّ هجوم الألمان المستعمرين، ولا يرى مثل ذلك في المقاومين الأفارقة للاستعمار الفرنسي، فيقول:

فَـــدِغُول والمجاهـــدُ قاومَـــا المســـتعمرينا ثُمَّ كافحَـــا كالرِّئبـــالِ وســـرَّحا السَّـــجِينا

[14] انظر: قاضي درامي، *صحراء جمهورية مالي وشعرها العربي* (بماكو: مكتبة الشاعر، مخطوطة)، 99-100.

[15] أحمد عيان سي بن عثمان بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن سليمان ولد في مدينة سان لويس السنغالية وبها توفي. وهو أحد الشعراء المتمكنين، له انتاج أدبي ضخم، ويعد شعره في موقع متقدم بين شعراء العربية في السنغال، وذلك لجودة عبارته، وقوة أسلوبه المكتسب من مصادر الشعر العربي القديم.

[16] انظر: صمب، *الأدب السنغالي العربي*، 1/113.

[17] هو عامر بن إبراهيم صمب المولدود في مدينة كِيمِيرْ السنغالية. قضى حياته في السنغال وفرنسا، ومات في وطنه. وهو أحد شعراء السنغال الأفذاذ. شعره تقليدي موضوعًا وصياغة، قد يقترب من الركاكة، والاضطراب في التركيب الفني. يملك الشاعر القدرة على الاسترسال، أو الرغبة فيه التي قد توصله إلى اصطناع القوافي.

وأَتـــىَ بالاســـتقلالِ مـــن إفريقيـــا سُـــودانا وأضـــحَوا بأمـــرٍ لـــه مـــن المشـــطِ أَسْـــنانا

أيْ ظَلُّـــوا مُتســـاوِين وأحـــراراً وإخـــوانًا فأصـــبحَ الملـــوكُ ورَعـــاياهُم مُتآخِينـــا[18]

وعلى عكس أنصار المستعمرين ومَدَّاحدهم هناك الكثير من شعراء المنطقة ممن تنتقد أشعارُهم المستعمرين وتندُدُ بأعمالهم وتهجوهم هم ومن والاهم من أبناء المنطقة، على سبيل المثال قصيدة الشاعر المالي عثمان بن حلون الأنصاري[19] التي يهجو فيها الخونة المتعاونين مع الفرنسيين، يقول فيها:

ومـــنْ يُحَكِّـــمْ كـــافِرا في نفســـهِ لاَ غَـــروَ أنْ بَاءَ بِشـــرّ مَقْتـــلِ

كونُـــوا علـــى العَـــدّ في اللهِ يَـــدا ففـــي التَّنـــازُع لُـــزومُ الفشـــلِ

بـــلْ قصـــةُ الأســـدِ مـــع ثِيرانِـــهِ فيهـــا لَكـــمْ ذِكـــرَى وضـــربُ مَثَـــلَ

فالضَّـــيْغَمُ الضَّـــيْغمُ يا مَـــنْ رَامَ أنْ يَســـريَ في الليـــلِ البهـــيمِ الأَلْيَـــلِ

وعـــدُ النَّصَـــارَى كَـــذِبٌ وَعَـــدْلُهم جَـــورٌ ومِـــيرُهم وَخِـــيمُ المأْكَـــلِ

لا تَـــتَرَاءَى نَارُ مُســـلمٍ وكـــا فـــرٍ نَهَـــى عـــن ذاكَ خـــيرُ مُرسَـــل

وسِـــلْمُهُم حَـــربٌ وبَـــذلُ مـــالِهِم يُقَلَّـــبُ بِالمِكيـــدِ والتَّحَيّـــل

والسّـــمُ في جِـــوارِهم وقُـــربِهم ومُســـلمٌ بِنـــارِهِم لا يَصْـــطلي[20]

ويقول الشاعر النيجيري عبد القادر بن محمد[21] في قصيدة له يصوّر فيها الحياة في عصره، ويسخر من المستعمر الذي يحكم بالاستبداد:

عســا الليـلُ حـتى اصـطادَ بـبر وثعلـبٍ وناوشـــتِ الآســـادُ ضـــبٌّ وَأرنـــبُ

تفـرّ أفـاعي الأرضِ مـن خـوفِ ضـفدعٍ وتـــزرعُ هنـــدٌ في الصـــباحِ وزينـــبُ

[18] انظر: صمب، *الأدب السنغالي العربي*، 222/1.

[19] هو من شعراء القرن الثامن عشر الميلادي، شاعر بليغ ومجيد من قبائل الطوارق في جمهورية مالي.

[20] انظر: الهادي المبروك الدالي، *أدب إفريقيا فيما وراء الصحراء* (بيروت: دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، 1996)،13.

[21] هو من أعلام بلاد نيجيريا وأحد شعرائه النابغين، مجوّد الشعر، حسن المعاني، يمتاز شعره بعذولة اللفظ وصفائه.

وأبصـــرتُ أقوامًـــا مـــع الليـــلِ أنزلُـــوا أهـــالِيهم في الدشـــتِ والظـــبيُ تَـــذهب[22]

ويقول الشاعر أحمد بمبا في قصيدة له دافع فيها عن جهاده اتهمه به الاستعمار الفرنسي، الذي نفاه إلى غابون، فيبرر جهاده بأسلحة روحية لا مادية متحدثا عن سيفه ومدافعه وسهامه:

ومقـــالُكم أنّي أجاهـــدُ صـــادقٌ إني لوجـــهِ اللهِ جـــلَّ أُجاهـــدُ

إني أجاهـــدُ بالعلـــومِ وبالتُّقـــى عبـــدًا خَـــديما والمهـــيمنُ شـــاهدُ

سَـيْفي الـذي يَفـري طَلـى مَـنْ ثَلَّثُـوا توحيـــدَه فَهُـــو الإلـــهُ الواحـــدُ

أمَّـــا رِمـــاحِي فالأحاديـــثُ الـــتي وردتْ عـــن المـــاحِي ونِعـــمَ الـــوارِدُ

وَبِهـــا أزحـــزِحُ بدعـــةً قـــد أَحـــدثُوا وبَهـــا يُلازِمُـــني ارتقـــاءُ خالـــد.[23]

وقد تبين لنا من خلال الأبيات السابقة كيف دافع الشاعر عن شخصيته من التهمة التي ألصقها به وهْمُ الخصم، وقد برَّر هذه التهمة وأقرّ بها على تعليل غير ما يعتقده الخصم.

2. صور تنديد الاستعمار في الشعر العربي من الغرب الإفريقي

لقد نظم أدباء غرب إفريقيا قصائد عددة تنبع عن تجربة شعرية صادقة، وتضاحي إنتاجات شعراء العرب ممن كتبوا في هذا المضمار. فعبروا فيها آلام الشعوب في ظل الاستعمار، مستنكرين قسوة المستعمرين الذين تحجرت منهم القلوب، منددين بجرائمهم، داعين إلى مقاومتهم والتخلص منهم. كما تغنوا بالحرية والبطولات والاستقلال وتصوير النكبات والحالة التي أصبحت عليها المنطقة في ظل إفساد الاستعمار للآراضي الإفريقية، وتسجيل الأحداث التي تمرّ بها. وكذلك تخليد الضحايا ومدح الأبطال الوطنيين والثوريين عن طريق استخدام الأساليب الحماسية. وسنتناول في هذا المبحث تلك الصور المختلفة التي عبر الشعراء من خلالها عن معاناة الأفارقة جراء السياسة الاستعمارية على النحو الآتي:

2.1. تصوير معاناة الأفارقة في ظل الاستعمار الغربي

هناك مقطوعات شعرية تغوص في عمق معاناة الشعب من غرب إفريقيا وتصوّر آلامهم إبان الاستعمار الغربي. ومما يندرج في هذا الإطار نذكر مثلا قصيدة الشاعر المالي حبيب عبد الله كانْ[24] ''الاستعمار وملاحقة الأبرار'' التي يلتقط فيها صورا مختلفة لتصوير الأفارقة تحت وطأة الاستعمار الأوروبي الغاشم، رغم تشتّتها فهي منسوجة بخيوط عاطفة البغض والحزن:

هُـــم كالعبيـــدِ لا شـــيءِ ياســـبهم إلاّ العصـــا لكســـور الضـــلع والعظـــم

[22] انظر: علي أبوبكر محمد، *الثقافة العربية في نيجيريا من أوائل القرن التاسع عشر إلى استقلال البلاد* (الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1965)، 339.

[23] انظر: صمب، *الأدب السنغالي*، 2/ 265–266.

[24] من شعراء القرن التاسع عشر، ويعدّ الشاعر حبيب أحد الشعراء المتميزين في عصره، يمتاز شعره بالجودة و الجزالة و غزارة الالفاظ و المعاني، ذاع صيته في ربوع منطقة غرب إفريقيا.

هُــم للهــرواتِ والأســواطِ أجــدرُ مــعَ طَــوقِ العِنــاق وصــفدِ الأيــدي والقَــدَم

هُــم كالــدَّوابِ وفي الأحكــام هُــم هَمَــجُ سِــربُ قَطَيــعٍ مــن الأنعــامِ والــبَجْم

هُــم كالبهــائِم في الأعــرافِ لــيسَ لَهُــم حــقُّ الكــلامِ فمــا الإعْــرابُ لِلعَجــمِ

هُــم كــالخراف مــن المعلــومِ حُكّمَهُمُــو للــذبحِ والسَّــلخِ والإجْهــارِ للــبُرُم

يُبــاعُ أيُّهُــم بَخْســا بِــلا ثَمَــنِ بــلْ رُبّمــا قِيمُــوا بالــديرِ الــرُّقم[25]

يلاحظ من الأبيات السابقة أنّ حداثة هذه الصور هي من صميم واقع الأحداث، وبعيدة عن تقاليد الشعراء العرب القدماء، وأنها مرآة تدل على المشاهد، التي حقّقها المؤرخون وتفّنن في تمثيلها أعلام الأفلام الإفريقية. ويستمر الشاعر في تصوير هذه المآسي المؤلمة والمخزية من معاملات المستعمر للأفارقة، فيقول:

يُــؤتى لَــهُ بالويــلِ أضــعافًا مُضــاعَفةً ظُلمــا ولــيسَ الشَّــكوَى وإنْ يَصــم

أضــحَى التلاميــذُ والطــلابُ في مِحَــن كــلٌّ يُشــارُ لَــه في الحــيّ بِالسِّــلم

لِلضَّــيْمِ بَيضَــتُهم لِلسُّــوم ســادتُهم للرَّعــي عــامَتُهم والخــاصُ كــالِبُهم[26]

ويقول أيضا في قصيدة أخرى يرسم فيها بلاء مقاومي الاستعمار:

والحــقُّ أنَّهــم في نُــورِه اندَهَشــوا واســتبَقوا بــلا شــكّ ولا وَهَــم

والحــقُّ أنَّهــم في لَهــوِه انْبَهَــروا واسْتَشْــروا وبِــه هَــامُوا بــلا لَمَــم

والحــقُّ مــن عَيْشــهِ التَهَمُــوا واسْتَهْضَــمُوا أكلَــه مــن طيــبِ اللُّقَــم

والحــقُّ أنَهــم مــن كأسِــه ارتَشَــفُوا واسْــتَذْوقُوا شــوة مــن لــذةِ الكَــرَم[27]

[25] انظر: حبيب عبد الله كان، *الإستعمار وملاحقة الأبرار* (بماكو: مكتبة الشاعر إبراهيم كان الخاصة، مخطوطة) 18 ؛ وكبا عمران، *الشعر العربي من العرب الإفريقي خلال القرن العشرين الميلادي*، (إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2011م)، 652/2.

[26] انظر: حبيب عبد الله كان، *الإستعمار وملاحقة الأبرار* (بماكو: مكتبة الشاعر إبراهيم كان الخاصة، مخطوطة)، 20.

ومن أمثلة المقطوعات الشعرية التي تصوّر مأساة الأفارقة تحت اضطهاد المستعمرين قصيدة ''السود والاستعمار'' للشاعر المالي يوسف جغوراغا من المعاصرين، الذي يتميز غيظا كلما تذكّر مأساة ظاهرة النخاسة، فيقول:

ونَسِـــيتُم مِينـــاءَ بَحـــرِ الأحمـــرِ تِجـــــارةِ الأحـــــرارِ يُـــــدْمِعني

بَاعـــوا أُســـودَ جنـــودِنا بِـــدارِهم كـــادتْ جَـــوَى الأحْشـــاءِ يَقتُلُـــني

قَتلـــوا الجهابـــذةَ الكـــرامَ وشَـــنَقُوا عُمـــرًا وقـــوْمي في الكَـــرَى وَهَـــن

كـــمْ أرملـــؤكم يَتَّمـــوا أشـــبالَنا إكبـــالَ ســـامُوري يُكْمـــدني[28]

2.2. فساد المستعمرين في المدن العلمية

إنّ توسع الحركة العلمية الذي شهدته منطقة غرب إفريقيا أيام الممالك والدول الإسلامية القائمة آنذاك نتج عنه ظهور مراكز راقية ومدن علمية ساهمت بشكل كبير في التطور العلمي والثقافي بالمنطقة. وعند دخول المستعمرين المنطقة واستيلائهم على جلّ الأماكن الاستراتيجية عملوا على تخريب هذه المدن العلمية بما فيها من ثراث ثقافي ومكتبات علمية؛ بغية إحلال ثقافتهم محلّه. وقد أشار بعض شعراء المنطقة إلى هذا الفساد، منددين شنيعتهم، من ذلك مقتطفات من قصيدة الشاعر الغاني الحاج عمر كركي(ت.1353هـ/1934م) [29]التي سجّل فيها فساد الاستعمار في المدن العلمية العريقة من مختلف مناطق إفريقيا، فيقول:

ألم تـــــرَ أنَّهـــــم مَلكـــــوا الأرضَ نَواحِيَهـــــا وجَـــــافُوا كالجَهَـــــام

ومـــن (سَنْسَـــنْد) قُل(ضَـــعَّ) ثم جُـــب وفي (صَـــغَّ) قـــاتلوا أهـــلَ الزِّحَـــام

ومـــا (حـــبَّ) جاءُوهـــا بِجـــيشٍ فقائِـــــدُهم جَهـــــنمٌ ذو الأثَام

ومـــن (دِيـــبَ سَـــنَنْغر) يا أُولاءِ كـــذلكَ (بَنْـــبَر) أرضَ الطعـــامِ

إلى (يُـــورَ) و(فُـــوتَ جَـــلُّ) و(تُـــورُ) مدينـــةُ (مـــالي) غَطـــتْ بالقَتَـــام

(وشَـــنْجِيط) و(تُنْبُكـــتُ) و(طُـــوبى) و(مَاسِـــنَ) إنَّهـــا أرضُ الكَـــرام

[27] انظر: حبيب عبد الله كان، *الحق في كنه القوم* (بماكو: مكتبة الشاعر إبراهيم كان الخاصة، مخطوطة)، 13.

[28] انظر: يوسف جغوراغا، *السود والإستعمار* (بماكو: مكتبة الشاعر، مخطوطة)، 7.

[29] هو عمر بن أبي بكر بن عثمان كركي الكبوي الكنوي الصلغوي. ولد في مدينة كنو النيجيرية سة 1241هـ. قضى حياته في نيجيريا وغانا وتوغو وبنين. وهو شاعر عالم فقيه، أوقف جل شعره على الموضوع الديني، والمدائح النبوية، يصوغ شعره في لغة وتراكيب بسيطة، ملمًا بفنون البديع وأساليب البيان.

و(بَنْجَغَـــرَا)و(دَنْسَ) كـــذا (قُـــرَيْش) (وسُـــوفَرَ) ســـوقُ ملـــحِ الطَّعـــام

وقـــد مَكثُـــوا (سَـــفارَ) ومـــا يَليهـــا وقائِـــدُهم عِقيـــبٌ ذو المِـــلام

ســـــنَذكرُ كـــــلَّ أرضٍ مَلكُوهـــــا علـــى قـــدرِ التَّحَمـــل في النظـــامِ[30]

من الملاحظ أنّ الشاعر قد عَدّ في الأبيات السابقة المدن العلمية والثقافية العريقة في المنطقة على النحو التالي: (بنبر) في مالي، و(فوت جلُ) في غينيا، و(فوت تُور) بالسنغال، و(شنجيط) بموريتانيا، و(تِنبكت وماسِن وبنجغر) في مالي،. ويمكن أن تعد هذه الميمية معجما للبلدان لكون أبياتها مشحونة بما بلغ(186) اسما للمدن والقبائل المحلية.

ويقول الشاعر أحمد ينما الإلوري[31] في القصيدة التي يصف لنا فيها ما وقع فيه أهل إلورن من فتنة كبيرة على أيدي المستعمرين، ويندد بخطاهم ويعطن في حركاتهم:

أعـوذُ بـربّ العـرشِ مـن شـرّ دَهـرِنا وشـــرِّ الـــذي يَفعلـــونَ بِقـــوَّة

هـــم الآمـــرونَ بالبِنـــاءَ وهَدْمِـــه وكـــنسِ فَنـــاءِ الـــدارِ في كـــلِّ ســـاعة

جُلوســـا وراءَ الحصـــنِ صـــاحَ بَعنْـــوَة بِتقـــدير ربي قـــدْ رَضـــينا بِقـــدرة

وحفـــرِ الكنيـــفِ والبنـــاءِ بِـــدورِها وحـــرثِ الطريـــقِ كـــلّ شـــهرٍ بِفِتنـــة

وجزيـــةٍ في أَيْـــدي المِســـاكين كلِّهـــم بَنَّـــاء الـــدوائِر باطـــلا كـــل حالـــة

وقـــدْ هَـــدموا بعـــضَ الـــديَّار لِطـــريقِهم أَيَا عَجبـــــا للآخـــــرين بَنَكْبـــــة

مَجـــالُ الســـلاطينِ الـــذين تَقَـــدَّمُوا كـــالجَوْلا غَوْغـــاء الجـــرادِ مُصِـــيبة[32]

2.3. التنبيه على أضرار الاستعمار

[30] انظر: كبا، *الشعر العربي من الغرب الإفريقي*، 2/730.

[31] من شعراء ولاية إلورن المجيدين. وهو من الذين تعدّ قصائدهم من عيون الشعر العربي الإفريقي، لم أعثر على تاريخ وفاته.

[32] انظر: آدم عبد الله الإلوري، *لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن* (القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعة الجماميز 1986)، 46.

إنّ الاستعماربأشكاله المختلفة له أضرار لا تعدّ ولا تحصى؛ إذ بلغ- وما زال يبلغ- كلّ نواحي الحياة في المناطق المستعمرة. ففي ظل الاستعمار لم يكن الأفارقة مجرد عبيد عبيد يخدمون سيدهم المستعمر، بل كانوا، في أحيان كثيرة، يباعون كرقيق، ويتم شحنهم في البواخر إلى بلدان أخرى، وهذا ما أشار إليه الشاعر الغيني الحاج عبد الرحمن باه (ت.1434هـ/2012م)[33] من المعاصرين في قصيدته ''أضرار الاستعمار '' التي يقول فيها:

إنّ الاســـــتعمار ضُـــــرٌّ ولِمَـــــــــنْ يَحْويـــــــــه دُرٌّ

وغَنِيمـــــــــــــــــاتٌ ودُرّ حيِّـــز مِـــنْ كســـبٍ حَـــرام

إنَ الاســـــتعمار مُـــــرّ أَيُـــــرى يَرَضـــــاه حُـــــرّ

غَـــــرَّه زيـــــدٌ وعمـــــرُ نَكتُـــــوا كـــــلَّ الـــــذِّمام

غســـــلتْ إفريقيـــــا مِـــــن دِرَن الـــــــرِّقِ المِـــــــوهِن[34]

وتعد هذه الأبيات من الاستطراد العارض أيضا؛ إذ يوجد فيها شيء من الطرب والبهجة بزوال الاستعمار الذي يمقته الشاعر.

ومن الشعراء الذين أشاروا إلى أضرار الاستعمار والمستعمرين الشاعر النيجري أحمد محمد شفيع الطارقي، من المعاصرين، الذي يرى التفريق بين الشعوب المستعمرة أكبر جرم اقترفه الاستعمار، وما زال يسعى على النهج نفسه في ما يعرف الآن بالاستعمار الجديد . لذا يندد شاعرنا من طوارق النيجر بهذه السياسة الغربية التي كادت تمزق الوحدة النيجرية:

ولمْ ينفـــعِ الغـــربَ الحقـــودَ نِـــداؤُه لتمزيـــقِ شـــعبٍ قـــد غَـــدَا يَسْـــتَفِزُّه

فأصـــبحَ في جُهـــدٍ لتفريـــقِ صَـــفًّا وتَشْـــتِيتِ هـــذا الشَّـــعبِ هَـــا هُـــو هَمُّـــه

فهـــذَا شِمـــالي وأبـــيضُ لونُـــه وهـــذا جَنُـــوبي وأَســـودُ وَصـــفُه

ولكنـــه قـــدْ خـــابَ ظِنـــا لأنـــه تَحَيَّـــل هـــذا اللـــونَ يَفْصِـــل بَيْننـــا

ومَـــا عـــرَفَ الغـــربُ الحقـــودُ بأنَّـــه يُثـــير اعتبـــارَ لا يُفـــرِّق صـــفَّنا

[33] هو الحاج جرنو عبد الرحمن بن جرنو علي بوبديم (الشيخ اللبوي) بن محمد بن محمد بنو بن عبد الرحمن، وهو أصغر أبنائه الثمانية، وُلد في مدينة لابي عام 1335هـ. تلقّى تعليمه الأولى في مجلس والده المرحوم الشيخ علي اللبوي، وبعد وفاة أبيه تعلم على يد أحد طلبة والده يُقال له الشيخ عمر الداري، مكث عنده ثمانية أعوام، تعمّق خلالها في علوم العربية والعلوم الإسلامية. وهو مؤسس المجلس الإسلامي الوطني الغيني سنة 1972م. تولّى العديد من مناصب. فقد كان أميناً موكّلاً بشؤون الحجّ والأوقاف، وصار قائداً ورئيساً لحجاج غينيا مدة 12 سنة، وفي 1984م عُيّن وزيراً للشؤون الدينية بغينيا.

[34] انظر: الحاج عبد الرحمن باه، *بنات أفكاري* (غينيا: مكتبة الشاعر، مخطوطة)،4 .

أُخوَّتُنـــا أعْلـــى مـــن اللـــونِ إنهـــا نِتـــاج نِصـــال قـــد تَوحـــد في العِنـــا[35]

وهذا الشاعر السنغالي أحمد جي[36] الذي لا يعترف بأيّ عمل إيجابي للاستعمار في جميع الأحوال فيقول:

والاســـتعمار ظلـــمٌ بَـــل تَعـــدُّ لِحـــق الغـــيرِ في كـــلِّ العُصُـــور[37]

ويقول أيضا منكرا على المستعمر الذي ترك أوروبا ليستغل أرض أجدادنا:

دَعُـــوا أفريقيـــا للســـودِ إنَّا حَكمنَاهـــا عَلـــى مـــرِّ العُصُـــور[38]

2.4. تعداد المخططات الغربية

للاستعمار حين مجيئه إلى القارة الإفريقية مخططات تتمثل في السطيرة على ثروات الشعب، وتدمير هويتهم وثقافتهم ونشر النصرنية إلخ. وقد تنبه لمثل هذه المخططات بعض شعراء المنطقة. أمثال الشاعر الغيني محمد الأمين جابي(ت.1438هـ/2016م)[39] الذي يحرص على الحفاظ بالهوية الإفريقية؛ لأن المستعمر يستهدف بالمصالح المادية أن يسلخ الإفريقي من هويته البيئية وعزته التقليدية، لذا أطلق عنان شاعريته في طول نفسه حتى بلغت أبيات رائيته 79 بيتا، فأسماها ب " الهوية المفقودة " التي دلّ مطلعها على براعة الاستهلال:

الحـــربُ ليســـتْ بالـــذخائرِ وحـــدَها حـــربُ الحضـــارةِ والثقافـــةِ أَخطَـــر

ويتابع بعد ذلك تعداد المخططات الغربية الخبيثة:

لا سِـــيما حـــربٌ تُـــدارُ بِحكمـــة ووَراءَهـــا عَقْـــل يَعـــي ويُفَكّـــر

درسٌ تَلقـــاهُ العـــدوُّ فَخطَّطـــوا لِيُشـــوَّهوا إســـلامَنا ويُـــدَمِّروا

عـــادُوا بِغزوتِنـــا حَضـــارِيا ولـــل فِكْـــر المجهَّـــز النصـــيبُ الأكـــبرُ

كـــرّوا علينـــا والـــدَّهاءُ سِـــلاحُهم ووَســـائِلُ التَّضْـــليلِ فيـــهِ أَظْهـــر

مِـــنْ بعـــدِما أخْصُـــوا مَـــوَاطنَ ضَـــعفا جَاسُـــوا خـــلالَ دِيارنـــا وتَأَمَّـــرُوا

[35] انظر: أحمد محمد شفيع، *الروابط التاريخية العريقة بين شمال إفريقيا ومنطقة جنوب الصحراء الكبرى وإفريقيا العربية في مجال الثقافة العربية الإسلامية*، (نيامي، مطبعة محلية، 1996)، 28؛ وكبا، *الشعر العربي من الغرب الإفريقي*، 175/1.

[36] أحمد محمد جي من أعلام ورموز العلم والثقافة العربية الإسلامية بالسنغال كما يعد أحد اكبر دعاتها و علمائها الذين كرسوا حياتهم كلها لخدمة العلم واللغة العربية وتربية الأجيال في البلاد السنغالية. له حوالي 30 مؤلف في شتى الموضوعات و القضايا الدينية والتاريخية و الاجتماعية و السياسية. لم أعثر على تاريخ وفاته.

[37] انظر: الشيخ أحمد جي، *استغلال الرجل الأروبي* (كوخ: مكتبة الشاعر ، مخطوطة)، 19.

[38] انظر: الشيخ أحمد جي، *الإستعمار الأروبي المقنع والسافر لأفريقيا* (كوخ: مكتبة الشاعر مخطوطة)، 10.

[39] من مواليد مدينة كنديا الغينية. قال الشعر وعمره ثلاث عشرة سنة. فتضلع في نظمه، فهو أديب لغوي متمكن، له انتاج شعري ضخم.

سـرقةُا تـراثِ المسـلمينَ وأنْفَقـوا فيـهِ مـن الأمـوالِ مِـا لا يُحْصَـر

فغَـدَتْ مَتـاحِفُهم بِمخطوطَاتِنـا مملـوءةً مـن كـلِّ نَـوع يَنْـدر

وبـهِ اسـتَعانوا في دراسـةِ ديننـا فجَنُـوا علـى تاريخِنـا، بـل زُورُوا

مـا ضـاعَ منـا مَفْخَـر إلاّ وهُـم سـببُ الضـياعِ وأيُّ ذاكَ المِفْخَـر

ضـاعتْ جريـرةُ زِنجبـارِ ولم تكـنْ إلاّ مَكـانًا بالمعـارفِ يَزْخـر

وكـذاك تُمْبكْتـو الـتي ضَـمَّت مَـرا كِـز للعلـومِ، وبالثقافـةِ تَفْخـر

طَمَسـتْ هويتنـا فأصـبْحنَا كمـا قـالَ الرسـولُ غُثـاءَ سـيلٍ يُغمـر

رَسمُـوا الحـدودَ بصـورةٍ مدْرُوسـة تُغـرِي الأهـالي بالنـزاعِ وتُنْـذر

فنَمَـتْ لغـاتُهم، وزادَ ثراؤُهـا إذا بِنَـا نَزْهـو بِهـا ونُعـبِّر

وإذا تقاليـدُ الـبلادِ تَخْلُـف وتَزمَّـتْ وتَطـرَّف وتَحَضّـر

تاريخُهُـم أضـحى مَـدارَ حَياتِنـا وبـهِ نُقـدِّم شـأنَنَا ونُـؤخِّر[40]

وللأديب الغامبي امباي كاه من المعاصرين، قصيدة لم يختلف في عنوانها عن السابق ذكرها، فأسماها ب " العقد المفقود" ، ختمها بثلاثة أبيات تشير إلى دور الاستعمار في فقدان هذا العقد الثمين الغالي، فقال:

عَلِمـوا الخلافـةَ أنهـا مَجـدٌ لكـم فتَكَـالبُوا مـن حُبْـثِهم وتَشَـدقوا

هَجَمُـوا عليهـا هَجْمَـة كُفريـة أَرْضـوا بِهـا حَقـدا دَفينـا يَحـرق

[40] انظر: محمد الأمين، جابي، *الهوية المفقودة* (كنديا: مكتبة الشاعر، مخطوطة)، 39.

واســـتَعمَروا أُمَمًـــا وكـــم ضـــرّوا بهـــا مِـــنْ أرْضـــها الخـــيراتِ ظلـــتْ تُسْـــرق[41]

وربما يعد الشاعر المالي حبيب عبد الله كانْ أكثر تنديدا بأعمال المستعمر في شعره؛ لطول إقامته في الغرب، حيث وقف على خبث نواياهم، وتماديهم على تشويه صورة إفريقيا في وسائلهم الإعلامية. لذا نجده في قصائد أربع يعلن عن كراهيته الشرسة على الغرب المستعمر :في أولاها " أين الدعاة ؟ " يحمس الثوار على وضع بنانهم على حِيل المستعمر الغاشم، وفي ثانيتها" الاستعمار وملا حقة الأبرار " يرسم لنا صورة شنيعة من الأعمال الشاقة التي عانى منها الآباء، وفي ثالثتها " كربلاء فرنسا " يرثي الشهداء في مقاومة الجيش الفرنسي، وفي الأخيرة " حبات السبحة " حيث يطلق عنان دعوته على هلاك المستعمر. انظر كيف يصور لنا مساوئ المستعمر في " أين الدعاة: "

كيـــفَ التبـــادُلُ بـــين ذئـــبٍ جـــائعٍ في قفـــــــرةٍ وقِطـــــــائعِ الخِزْفـــــــانِ

بِاسْـــمِ التقـــدمِ والنُّمـــو تَحـــايلوا وبِمـــا يُســـمى وحـــدةُ الأهـــدافِ في الأزمـــانِ

ســـامُوا العـــذابَ علـــى العبـــادِ ودَمَّـــرُوا علينـــــا المبـــــانِي بأرضِـــــها التَّحْتـــــاني

نَهَبُـــوا الأراضـــي في المـــدائِن والقُـــرى وأدُّوا كَـــــرائمَ كـــــذك فِكـــــرَ باني[42]

وللشاعر النيجيري عثمان عبد السلام الثقافي من المعاصرين قصيدة تناول فيها آثار الاستعمار السيئة وما يطلق عليه بالاستعمار الجديد أو الغزو الثقافي، يقول فيها:

إنّ الأجانـــبَ أصـــبَحُوا لِـــبلادِكم مُســـــتَعمِرين بِقـــــوة المتعـــــاتي

جـــاؤوا لِتَبـــديلِ الأمـــورِ بِأمـــرِهم فَرَضِـــــيتُموا تَغيـــــيرَ كـــــلِّ حيـــــاةِ

نســـخوا تقاليـــدَ الـــبلادِ جميعَهـــا بالمحـــــدثاتِ ونحـــــن كالنَّعَجـــــات

ودَعُـــوكم عُمْيـــا وبُكمـــا كافـــةً فَقَبلـــتم بالـــدَّعوى بِـــلا إثبـــات

مَنحُـــــوكم حريـــــةَ بـــــبلادِكم فـــأتاكم الفوضـــى بِظلـــم ولاة.[43]

[41] انظر: كامباي كاه، *ديوان شعر* (غامبيا: مكتبة الشاعر، مخطوطة)، 18.

[42] انظر: حبيب عبد الله كان، *الوردة على نهج البردة والنفث العنبري في المأتم العمري* (بماكو: مطبعة محلية، د.ت.)،77 .

[43] انظر: عثمان عبد السلام الثقافي، *تنبيه الأمة والإسلامية* (لاغوس: مكتبة الشاعر الخاصة، مخطوطة)، 7، 8.

ومن المعلوم أن الاستعمار تعاون مع الإرساليات التبشيرية في القيام بحملة الغزو الفكر والديني معا، وهذا لم يخف على بعض الشعراء، الذين لم يروا أي فرق بين المستعمرين والنصارى، بل لهؤلاء حقد دفين ودسائس مسمومة أكثر خطورة من أولئك، لأنهم يشوهون روح الدين في النفوس، كما يؤكد ذلك الشاعر الغاني عمر كركي الذي يعد أكثر الشعراء اهتماما بموضوع النصارى : ففي ميميته الطويلة يحكي لنا قصة وصول المستعمر في المنطقة، وخطواتِ اتصالاته بالمحليين في السلم، ثم تآمرهم على الأمراء قبل أن يفرضوا سلطَتهم قهرا على البلاد، والقصيدة الثانية مقّفاة بكلمة النصارى"، وفي هذا التكرار إعلان هام عن كراهيته الشنعاء لهؤلاء المحتلين الجائرين:

نعـــــــــوذُ باللهِ يا بَـــــــــرايا ... مـــــن الـــــذي يَـــذْكُره النصـــــارى

ومِـــــن أشـــــدِّ فتنـــــةٍ عظيمـــــةٍ ... قعـــــوده في أرضـــــنا النصـــــارى

ونَجـــــني يا ربّ مِـــــن إبلـــــيسَ ... ومِـــــنْ لقـــــاءِ مِـــــاكِري النصـــــارى

إذا سُـــــئِلنا مِـــــن وَكيـــــلِ شـــــرٍّ ... فقـــــلْ وكيـــــلُ الفتنـــــةِ النصـــــارى

ومَـــــن أحـــــبَّ أنْ يـــــرى الشـــــيطانَ ... بِعينـــــه فَلْيَنظـــــرِ النصـــــارى[44]

2.5. المطالبة بالحرية والاستقلال

بعد المعاناة الدائمة اندلعت نيران ثورة لاهبة ضدّ الاستعمار الغربي وارتفعت أصوات كثيرة من مختلف شعراء المنطقة لطلب الحرية واستقلال بلدانهم، من ذلك ما نجده عند الشاعر أبوبكر غومي (ت.1992م)[45]، من نيجيريا، في قصيدة له، بعد أن باح بشكاواه في الذلّ الذي ذاقه الشعب من هوان الاستعمار ، فيقول:

قصـــدُنا وحـــدةُ الـــبلادِ جَميعـــا ... وانفصـــالٍ عـــن العـــدوِّ انْفِصـــاما[46]

وربما كان أحمد عيان سِه السنغالي(ت. 1405هـ/1984م)[47] أفصح منه في تحريض الشعب على مطالبة الحرية، فيقول:

أرى الأرضَ لم تُخلـــقْ لِســـفكِ دمـــائِكم ... فـــإنِ إلهـــي بالبريـــةِ أرْحَـــم

ولا تَتركوهـــــا للأجانـــــبِ فرصـــــةً ... فللحـــــر رأْيٌ في المـــــواطنِ أحْـــــزَم

---

[44] انظر: مالم عمر بن أبي بكر كركي، *قصيدة النصارى* (أكرا: مكتبة جامعة ليغون، مخطوطة)، 13.

[45] هو أبو بكر بن محمود بن محمد بن علي براء البدوي ولد سنة 1924م، أحد علماء نيجيريا المعروفين في ساحة العلم والبحث والتدقيق. وهو من أوائل الأفارقة الذين نالوا جائزة فيصل. له انتاج أدبي كبير.

[46] انظر: عبد السلام محمد عثمان، *الحماسة في الشعر العربي في ديار نيجيريا* (صكتو: مطبعة محلية، د.ت)، 331

[47] هو أحمد عيان سي بن عثمان بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن سليمان. ولد في مدينة سان لويس السنغالية وبها توفي. ويعد شعره في موقع متقدم بين شعراء العربية في السنغال، وذلك لجودة عبارته، وقوة أسلوبه المكتسب من مصادر الشعر العربي القديم.

فحـــقٌ لأوطـــانِ الفـــتى أنْ يَصـــونَها ويَبـــني فِيهـــا مـــا غَـــدا يَتهـــدَّم[48]

وهذا ما جعل بعض الزعماء يكرهون التعاملَ مع المستعمر، فيشيد بموقفهم بعض شعراء وطنهم، لما في ذلك من خطوات نحو الحرية والاستقلال، فالشاعر النيجيري أبو بكر صلاح الدين يشيد بموقف الإباء الذي أبداه الأمير عبد القادر في الدولة الإسلامية بصكتو:

أبيـــتُ إلى الغـــربِ رجـــوعَ الحكومـــةِ كـــذالك أَبَـــوا مَـــنْ بِالعبـــادةِ يَعْمـــل

رَمَيْنـــا عَلـــى الأضْـــدادِ كـــانُوا زَادِقـــا بالـــدعوةِ كـــيلا نَرجِـــعَ يَا مَؤمـــل[49]

ويقول الشاعر النيجيري محمد الزيتوني من المعاصرين في همزيته:

ويـــــحُ غـــــربٌ قَـــــد أَضـــــلُوا ثُم صَـــــــدُّوا عَـــــنْ سَـــــناء

رَاوَغُـــــوا بِاسْـــــم الحَضَـــــارَةِ حَـــــــــارَبُوا بِالـــــــــذَّكاء[50]

ولكي تتجدد هذه الثورة على الأوروبيين في النفوس الملتهبة يصرّ بعض الشباب على إعادة النظر في ظاهرة النخاسة التي لعب فيها الاستعمار دورا خطيرا، ولا ننسى أن الظاهرة نفسها كانت أهم سلاح لأرباب نظام الثورة السياسية، فلذا يقول الشاعر المالي يوسف جغوراغا في هذه النونية التي تضع جمرات الشجون في المشاعر:

أَنَسيتُكم أكلَ الرغيفِ عن الوَغَى أمْ صِرْتم خَشَبًا، فَيا محي

ونَســـيتُم أَسْـــلافَكم وأُصـــولَكم يُبْكِـــيكُم الأجـــدادُ بِالشَّـــجَن

ونســـيتُم مِينـــاء بحـــرِ الأحمـــر وتجـــارةِ الأحـــرارِ تَـــدْمَعُني

بَاعُـــوا أســـودَ جُنـــودِنا بِـــدراهم كـــادت جـــوى الأحشـــاء تقتلـــني[51]

2.6. تحميس الشعب للدفاع عن الوطن

[48] انظر: صمب، *الأدب العربي السنغالي*، 121/1.

[49] انظر: يعقوب يوسف، *دراسة تحليلية لحركات المدح وتطوره في مدينة إلورن من 1960 إلى 1989 م* (إلورن: جامعة إلورن،كلية الآداب، رسالة الماجستير، 1990)، ص135 .

[50] انظر: محمد المصباح الزيتوني، *فاطرقوا باب السماء* (لاغوس: مكتبة الشاعر، مخطوطة)، 2 .

[51] انظر: يوسف جغوراغا، *السود والإستعمار* (باماكو: مكتبة الشاعر، مخطوطة)، 16.

يعدّ الدفاع عن الوطن ملحمة تاريخية صارع إليها الكثير من الأبطال وتباهت بها الشعوب في التضحية بحياتهم من أجل أوطانهم. ومن هذا المنطلق فقد وظّف مجموعة من الشعراء أقلامهم لصالح الدفاع عن الوطن وهويته، محمسين شعوبهم. من بينهم الشاعر المالي أحمد حيدرا من المعاصرين في رائيته التي نلمس فيها تعبيرا جماعيا عن الروح الحماسية لدى الأفارقة:

تـــبَّ التســـلطُ فـــكَّ القيـــدُ وانـــدَثَرا بالســـيفِ والفـــأسِ ثارَ الشـــعبُ فانتصـــرَ

دُقّـــوا الطبـــولَ فشـــهرُ المجـــدِ قـــدْ طَلعـــا إني أرَى النـــورَ في أفُـــقَ السَّـــما انتشـــرا

نحـــنُ البنـــاةُ بَنَيْنـــا المجـــدَ مَـــن عَـــرقٍ نحـــنُ الحمـــاةُ إذا مـــا خَـــائنٌ غَـــدرا

تَبـــتْ يـــدَا ســـارقٍ وتـــبَّ مـــا كســـبتْ يـــداهُ مِـــن عمـــلٍ وكـــلّ مـــا ادَّخَـــر

نَهَبـــتْ مَـــواردَنا أفْنَـــتْ مَناجِمَنـــا وأتـــتْ كرامَتَنـــا قُلنـــا كفَـــى وَتْـــرا

واســـألْ فرنســـا وَســـلْ مَـــن رامَ عِزَتَنـــا نحـــنُ الـــدَّمار ونحـــنُ الســـلمُ مُقتـــدرا[52]

ويقول الشاعر الوزير جنيد النيجيري (ت.1417هـ/ 1997م)[53] لتنبيه أبناء السلاطين والأمراء من نومهم وتشجيعهم على طرد المستعمرين بقوله:

صـــارتْ مراتِـــعٌ للوحـــوشِ بعـــدَ أنْ كانـــتْ مقاصـــدَ حاضـــرٍ أوْ بَادِ

أقـوتَ فلسـتَ تَـرى بهـا أحـدًا سَـوَى الحـــرباءَ لائِـــذةً علـــى الأعـــوادِ

قامـــتْ تُخـــاطِبُني فَعـــز كلامُهـــا فَلكُـــم ســـكوتُ مُعلـــنٍ بِمُـــراد

وتـــدِير عَينَيْهـــا تُشـــير بِـــذاك دُو ر الـــدهرِ غـــيرَ مـــا تَـــرى في النـــادِى

وتلونـــتْ فَفَهمـــتُ منـــهُ تلـــونَ ال أحـــوالِ في الـــدُنيا فَعَـــزَّ رقـــادى

ناديـــــت يا أيُّهـــــذا النَّـــــادى فَأجَـــــابَني يا أيُّهـــــذا النَّـــــادى

[52] انظر: الشيخ أحمد حيدرا، *إفريقيا أرض البطولة* (سيقو: مكتبة الشاعر الخاصة، مخطوطة)، 5.

[53] هو جنيد بن محمد البخاري بن أحمد، ولد في صكتو سنة 1906م. وهو أديب وشاعر ومرجع هام في تاريخ صكتو. بذل جهدا في جمع المخطوطات. وله أكثر من أربعين مؤلفا في اللغة العربية ما بين المنثور ومنظوم.

لمِـــــا سَـــــكَنْتُ دنا إليّ حمامـــــةٌ مَغـــــرَّة تَبْـــــدو بِلَـــــون رَمـــــادى

فســـــألتُها أيـــــنَ الـــــذين عَهـــــدْتُهم قالـــــتْ لقـــــدْ بَلغـــــوا عَلـــــى الميعـــــاد[54]

وللعلامة دنب واكي المالي (ت.1399هـ/1978م)[55] قصيدة حائية، جاءت فيها هذه الأبيات:

فَهُـــمْ قَـــومٌ علـــى عِلـــمٍ أَضَـــلُّوا فَلـــيسَ لَهُـــم عَقـــلٌ مِـــن فَـــلاح

لـــذَا حقـــتْ شـــقاوَتُهم ولكـــنْ ظُهـــــورُهم تَثْقـــــل بالجَنَـــــاح

فيَـــا أعـــداءُ ديـــنِ اللهِ مَهـــلا فبالمرضـــادِ ســـعدٌ بِالسِّـــلاح[56]

ولقد ساهم الشعر العربي الصحراوي في التحريض على الجهاد ضدّ فرنسا في قصائد مطوّلة منها قصيدة الشاعر المالي الصحراوي محمد ولد سيديا (ت.1286هـ/1869م)[57] الشهيرة التي ذاعت شهرتها في بلاد الصحراء؛ لأنه ينبه فيها إلى دخول الاستعمار ويطلب من المسلمين الوحدة ومحاربة الأعداء، فيقول فيها:

رُوَيْـــدك إنـــني شـــدِهت نارا علـــى أمثالهـــا تقـــف المهـــارى

تأمـــل صـــاحِ هاتِـــك الـــرَّوابي فـــذاك التَّـــلُ أَحْسِـــبُه انارا

ولَـــوْ في المســـلمينِ اليـــومَ حـــرٌّ يَفُـــك الأســـرَ أو يَحْمـــي الـــذِّمارا

لَكَفُـــوا دِيـــنَهم وَحَمُـــوه لَمَّـــا أرادَ الكـــافرونَ بـــهِ الصِّـــغارا

حمـــاةُ الـــدينِ إنّ الـــدينَ صـــارا أســـيرا للصـــوصِ ولِلنصـــارى

فـــإنْ بادَرْتُمـــوه تَـــدارَكوه وإلا يَســـبِق الســـيفُ الْبَـــدارا[58]

[54] انظر: شيخو أحمد سعيد غلادنث، *حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا* (القاهرة: مطابع دار المعارف، 1986)، 193–194.

[55] هو عبدالله بن أبي بكر بن محمد البشير بن عثمان واكي. يلقب بدنب واكي. وهو مولود في مدينة طوبى المالية وتوفي في بماكو عاصمة مالي. له انتاج أدبي رائع. وهو شاعر مقلد، نظم على الموزون المقفى في الأغراض المختلفة. مجمل شعره فيه لغة سلسة ومعانٍ واضحة صريحة يسوقها في أبنية متينة متنوعة بين البحور المختلفة.

[56] انظر: الحاج سعد توري، *الصواعق الإلهية في الرد على ترهات الكنائس الميلادية* (الدار البيضاء: دار الرشاد، د.ت)،115 .

[57] ولد عام 1832، ونشأ في أحضان والده الذي أشرف على تربيته وتكوينه تكوينا عليما وأدبيا مكثفا، مما أسهم في شحذ وتهذيب موهبته، فتفتقت باكرا بالشعر والأدب. هو من أعلام بلاد شنقيط، أديب ولغوي له يد طولى في النحو وعلومه، تميز شعره بالرقة وسلاسة العبارة، وهو من الشعراء الملتزمين بقضايا الوطن والأمة، فقد كان شعره مثالا للشعر السياسي الثائر.

2.7. وصف الانتصارات ومدح المقاومين

راح بعض شعراء المنطقة يصف انتصارات الشعب وبطولاتهم على جيش الاستعمار، ويمدح المقاومين من أبناء مناطقهم وأبطالهم في أبيات مزجوا فيها بين الحماسة والمدح، من ذلك قول الشاعر السنغالي القاضي مجخت كل(ت. 1319هـ/1901م)[59] الذي يقول في وصف انتصار الأمير لتجور البطل الشعبي على جيش الاستعمار:

تلفيـــه يأمـــرُ بالمعـــروفِ عســـكرَه ... كأنَّمـــا جـــاءَه مِـــن ربِّـــه النـــورُ

يُـــروِّع أفئـــدةَ الأعـــدا كتائِبُـــه ... كـــأنَّهُم غَمـــم لِلأســـد مَـــذْعور

فَلْيَـــدْخلِ النـــاسَ طُـــرّ في طريقتِـــه ... طوعًـــا وإلاّ فَســـيفُ المـــوتِ مَشـــهورُ

ومـــا زالَ يَضـــربُهم بالبـــيضِ يَطعَـــنُهم ... حيـــثُ الرَّصـــاصِ مـــع البـــارودِ مَنْثـــوُر

لم يَشْـتكِ الجـوعَ مَـن نسـرٍ ولا ضُـبع ... إلاّ وَهَـــامُهم في البَيْـــدر مَجْـــرُور[60]

ويقول الشاعر المالي الصحراوي عثمان بن حوالن الأنصاري[61] يمدح أمير الأنصار اللود الأنصاري لحربه للفرنسيين:

يا صـاحِ عُـدْ عـن بُكـاكَ الـدهرِ مِـن كَمـد ... ولا تقـولَنَّ عَلـى مـا فـات: وَانَـدَمى

إذْ لا ارتجـاعَ لَمـا قَـدْ مَـرّ مِـن زمـنٍ ... بِسَـفْح دَمْـع ولا التَّعْـداد والـثكم

وَســـلْ عنـــه لجـــوزِ عـــالِمٍ ورِعٍ ... غَطَمْطَـــمٍ ملـــكِ العِـــرباء والعَجَـــم

لـــهُ منـــازلُ عـــزٍّ مَـــنْ أَلَمَّ بِهـــا ... نَفـــتْ عليـــه قِتـــامُ الـــذُّل والهَضَـــم

لا يَتَّقـــى في حِـــذاءِ أَرْضـــه أَبَـــدا ... مَـــن اســـتجارَ بِـــهِ مِـــن فَجْـــأة الـــدَّقم

---

[58] انظر: محمد سعيد القشاط، *صحراء العرب الكبرى* (طرابلس: دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع، 1994)، 222-223؛ *أعلام من الصحراء* (بيروت: دار الملتقى للطباعة والنشر، 1997)، 174.

[59] اسمه الكامل مَكَلَ بن موسى جخت بن مكل جخت، ولكنه اشتهر بالقاضي بفضل براعته في مهنة القضاء. عُرف القاضي مجخت كلَ بتفوق أقرانه في الشعر العربي، كان شاعرا متمكنا من اللغة العربية والعروض في وقت مبكر. وكان مولعاً بمبارزة ومقارعة شعراء وعلماء زمنه؛ فقد سُجّل له عدة مساجلات شعرية ومباحثات علمية. له قصائد شعرية جميلة بلغة عربية من الطراز الأول.

[60] انظر: صمب، *الأدب السنغالي العربي*، 54/2.

[61] هو ثمان بن محمد بن إنغلالن بن حوالن الأنصاري أحد شعراء صحراء مالي من القرن التاسع عشر الميلادي، وهو من قبيلة السوق في شمال مالي. وهو إمام وفقيه متقن ومتبحر في علوم اللغة العربية له مؤلفات قيمة ومفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفود عقله.

لـــــهُ حـــــالُ كـــــرامٍ لا مِثـــــالَ لَهُـــــم لكـــــنهم نَقَضُـــــوا في العهـــــدِ والـــــذَّم

إذْ كَاشـــحوا وطـــنَ العـــرباءِ عَـــن سَـــفَه واســـــتوطنوا بَلـــــدَ السُـــــودان والـــــبُرُم

واســـــتأثِرُوه عـــــن الأوطـــــانِ فاتَّخَـــــذُوا أعلاجَهـــــا بـــــدلَ العِـــــرباء والـــــرَّحم

الكاشـــحِون لغـــدرِ الخـــلّ في حضـــر القـــائمون لـــهُ مِـــن شـــدّةِ العشـــم

حـــــتى إذا انْصَـــــرفوا خَاُضـــــوا مُعايَنـــــة في هِجـــــرةٍ ونَســـــوا وَصِـــــيَّة السّـــــلم[62]

ومدح الشاعر السنغالي أحمد جي رئيس غينيا الأسبق أحمد سيكو توري، كما هجا في الوقت نفسه رئيسه السنغالي ليبولد سنغور في قصيدة مطلعها:

حـــيّ الـــريئس الغيـــي المِحْبـــوبا الشـــيخَ تُـــورِي القائـــدَ الموهـــوبا

مَـــن قـــال لا لِلغـــربِ حـــينَ أرادَه مُسْـــــتعمرا مُستَضْـــــعِفا مَغْلـــــوبا

فأقـــــــامَ دَولـــــــة ثَوريـــــــة في غينيـــــا واسْـــــتهدَف التَحْصـــــيبا

اللهُ ألْهمَـــــه صـــــوابَ سياســـــةٍ فأفـــــادَ في إفريقيـــــا التَّجْريبـــــا

حـــيّ الـــرئيسَ لأنـــه مُتمسِّـــكٌ بِمبـــــادئ الإســـــلامِ دامَ نَقيبـــــا

إفريقيـــا افْتخـــرتْ بـــهِ وَبِجـــدَّه سَـــاموري، كـــان الرائـــدُ المِحْســـوبا[63]

الخاتمة

لقد واجه الاستعمار الغربي طيلة احتلاله لمنطقة غرب إفريقيا مقاومة شديدة وتنديدا قويا اختلفت أشكاله وأنواعه حسب ظروف الحركات الوطنية، وقد تمكنا من خلال دراستنا لهذا التنديد من الوصول إلى مجموعة من الاستنتاجات الآتية:

[62] انظر: محمد سعيد القشاط، *نماذج من الشعر العربي في الصحراء* (بيروت: شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 1996)، 46؛ الدالي، *أدب إفريقا فيما وراء الصحراء*، 22.

[63] انظر: الشيخ أحمد جي، *فخامة الرئيس سيكو* (كوخ: مكتبة الشاعر، مخطوطة)، 9.

أنّ دور الثورة والنضال في أشعار شعراء المنطقة تنطوي على أهداف وغايات سامية منها، تنمية شعور أبناء الشعب واستنهاضهم ودعوتهم إلى دفع الذل والخضوع والاستسلام. وقد تبين أنّ شعراء المنطقة قد نظموا قصائد شعرية ذات أغراض مختلفة لتصوير فساد المستعمرين في البلاد، وتذكير الأجيال بمعاناة الأجداد تحت الأعمال الشاقة، وإبراز مدى تأثير الغزو الثقافي الاستعماري على أبناء شعوبهم.

كما اتضح أيضا من خلال هذه الدراسة أن معالم الوعي القومي لدى شعراء المنطقة لم تتضح إلا بعد فترة الاستعمار، حين توحَّدت صفوف الشعب لمحاربة المستعمر والبحث عن التحرُّر والاستقلال، فسطعت الأقلام الإفريقية في سماء الأدب المناهض لطغيان الاستعمار الأوروبي، وشرع الشعراء يشحذون همم المقاومين ضدد الاستعمار، ويندون بأعماله ومخططاتهم المتمثل في مسخ الهوية الإفريقية.

وصفوة القول: إنّ بعضا من هؤلاء الشعراء الذين نسجوا عددا من القصائد للتنديد بأعمال المستعمر الأوروبي وحثّ أبناء مناطقهم على مناهضة كلّ الأشكال الاستعمارية قد تعرضوا لشتى أساليب التعسف والاعتقال والنفي من أوطانهم. ورغم ذلك كله لم يمنعهم أيّ تهديد من الاستمرار بنشاطهم الأدبي والسياسي المناهض للاستعمار. وقد تميزت معظم قصائدهم بلغة شعبية سهلة، قريبة إلى الأفهام، كما اتسمت بالجودة في ديباجاتها وعرض أفكارها، ورقة ألفاظها وسلامة أساليبها.

المصادر والمراجع

ابن شريفة، محمد. *إبراهيم الكانمي: نموذج للتواصل الثقافي بين المغرب والسودان*، الرباط: جامعة محمد الخامس، 1991م.

الألوري، آدم عبد الله. *لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن*، القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعة الجماميز 1986م.

باه، الحاج عبد الرحمن. *بنات أفكاري*، غينيا: مكتبة الشاعر، مخطوطة.

البرتلي، محمد أبوبكر. *فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور*، تح. محمد إبراهيم الكتابي بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م.

بلو، محمد. *إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور*، القاهرة: وزارة الأوقاف، 1964م.

التمبكتي، أحمد بابا. *معراج الصعود*، تح. فاطمة العراف الرباط: معهد الدراسات الإفريقية، 2000م.

توري، الحاج سعد. *الصواعق الإلهية في الرد على ترهات الكنائس الميلادية*، الدار البيضاء: دار الرشاد، د.ت.

الثقافي، عثمان عبد السلام. *تنبيه الأمة الإسلامية*، لاغوس: مكتبة الشاعر الخاصة، مخطوطة.

جابي، محمد الأمين. *الهوية المفقودة*، كنديا: مكتبة الشاعر، مخطوطة.

جغوراغا، يوسف. *السود والاستعمار* ، بماكو: مكتبة الشاعر، مخطوطة.

جي، الشيخ أحمد. *فخامة الرئيس* سيكو، كولخ: مكتبة الشاعر، مخطوطة.

جي، الشيخ أحمد. *استغلال الرجل الأروبي*،كولخ: مكتبة الشاعر ، مخطوطة .

جي، الشيخ أحمد. *الاستعمار الأوروبي المقنع والسافر لأفريقيا*، كولخ: مكتبة الشاعر مخطوطة.

حيدرا، الشيخ أحمد. *إفريقيا أرض البطولة*، سيقو: مكتبة الشاعر الخاصة، مخطوطة.

الدالي، الهادي المبروك. *أدب إفريقا فيما وراء الصحراء*، بيروت: دار صنين للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.

درامي، قاضي. *صحراء جمهورية مالي وشعرها العربي*، بماكو: مكتبة الشاعر، مخطوطة.

الزيتوني، محمد المصباح. *فاطرقوا باب السماء*، لاغوس: مكتبة الشاعر، مخطوطة.

شفيع، أحمد محمد. *الروابط التاريخية العريقة بين شمال إفريقيا ومنطقة جنوب الصحراء الكبرى وإفريقيا العربية في مجال الثقافة العربية الإسلامية*، نيامي: مطبعة محلية، 1996.

صمب، عامر. *الأدب السنغالي العربي*، الجزائر، مطبعة الشركة الوطنية. للنشر والتوزيع، 1978.

عبد السلام، محمد عثمان. *الحماسة في الشعر العربي في ديار نيجيريا*، صكتو: مطبعة محلية، د.ت.

علي، أبوبكر محمد. *الثقافة العربية في نيجيريا من أوائل القرن التاسع عشر إلى استقلال البلاد* الاسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، 1965م.

الغربي، محمد. *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، 1982.

غلادنث، شيخو أحمد سعيد. *حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا*، القاهرة: مطابع دار المعارف، 1986م.

القشاط، محمد سعيد. *أعلام من الصحراء*، بيروت: دار الملتقى للطباعة والنشر، 1997م.

القشاط، محمد سعيد. *صحراء العرب الكبرى*، طرابلس: دار الرواد للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م.

القشاط، محمد سعيد. *نماذج من الشعر العربي في الصحراء*، بيروت: شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، 1996م.

كان، حبيب عبد الله. *الاستعمار وملاحقة الأبرار* بماكو: مكتبة الشاعر إبراهيم كان الخاصة، مخطوطة.

كان، حبيب عبد الله. *الحق في كنه القوم* بماكو: مكتبة الشاعر إبراهيم كان الخاصة، مخطوطة.

كان، حبيب عبد الله. *الوردة على نهج البردة والنفث العنبري في المأتم العمري*، بماكو: مطبعة محلية، د.ت.

كاه، كامباي. *ديوان شعر*، غامبيا: مكتبة الشاعر، مخطوطة.

كبا، عمران. *الشعر العربي من الغرب الإفريقي خلال القرن العشرين الميلادي*، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2011م.

كركي، مالم عمر بن أبي بكر. *قصيدة النصارى*، أكرا: مكتبة جامعة ليغون، مخطوطة.

يعقوب، يوسف. *دراسة تحليلية لحركات المدح وتطوره في مدينة إلورن من 1960 إلى 1989 م*، إلورن: جامعة إلورن،كلية الآداب، رسالة الماجستير، 1990 م.

KAYNAKÇA

Abdüsselam, Muhammed Osman. *el-Hamâse fi'şiiri'l-arabi fi diyari Nijerya,* Sokoto: Matbaa mahallîye, ts.

Ali, Ebubekir Muhammed. *es-Sekâfe el-Arabiyye fi Nijerya min evâ-ili'l-karni't-tâsi´aşare ilâ istiklali'l-bilâdi*, İskenderiye: Dâru'd-da´va li't-taba ve'n-neşr ve't-tevzi, 1965.

BAH, el-hac Abdurrahman. *Benâtu afkârî*, Gine: özel kütüphane, yazma eseri.

Ballo, Muhammed. *İnfâku'l-Meysûr fi tarihi bilâdi't-tekrûr*, Kahire: vizâretü'l-evkâf, 1964.

Bartilî, Muhammed Ebubekir. *Fethu'ş-şükûr fi ma´rifeti a´yâni ulemâ-i'-tekrûr*, thk. Muhammed İbrahim el-Kuttâbî. Beyrut: Dâru'l-Garb el-İslami, 1981.

CY, Ahmed. *el-İsti'maru'l-urubî el-mukni´ ve's-sâfir li'ifrikya*, Kûleh: özel kütüphane, yazma eseri.

CY, Ahmed. *Fehâmetu'r-resi Seku*, Kûleh: özel kütüphane, yazma eseri.

Cy, Ahmed. *İstiğlâlü'l-reclü'l-urubî*, Kûleh: özel kütüphane, yazma eseri.

Dalî, el-Hadî el-Mebrûk. Edebu İfrikya fîmâ verâa es-sahara, Beyrut: Dâru sinin li't-tibaa ve'n-neşr ve't-tevzi, 1996.

Diaby, Muhammed el-Emin. el-*Heviyye el-mefkûde, Kindiye*: özel kütüphane, yazma eseri.

Diagoraga, Yusuf. *es-Sûdu ve'l-İsti´maru*, Bamako: özel kütüphane, yazma eseri.

Drame, Kadî. *Sahra Cumhuriyeti Mali ve şii´ruha el-Arabi*, Bamako: özel kütüphane, yazma eseri.

Garbî, Muhammed. *el-Hükmü el-Mağribi fi's-Sudani'l-garbi*, Kuveyt: Müessesetü'l-halîç li't-tibaa ve'n-neşr, 1982.

Gladiç, Şeyhu Ahmed Said. *Hareketu'l-Luga el-Arabiyye ve Âdâbiha fi Nijerya*, Kahire: Metâbi-u Dârü'l-maarif, 1986.

Haydara, Ahmed. *İfrikya Arzu'l-butûlet*, Segu: özel kütüphane, yazma eseri.

İbn Şerife, Muhammed. *İbrahim el-Kânemî: Nemûzeç li't-tevâsül es-Sekâfî beyne'l-mağrip ve's-sudan*, Rabat: Câmiatü Muhammed el-hâmis, 1991.

İlverî, Âdem Abdullah. *Lemehâtu'l-belver fi meşâhiri ulema-i İlvern*, Kahire: Mektebetü'l-âdâp ve matbaatü'l-cemâhiz, 1986.

Kâ, Kambay. *Dîvânu şiir*. Gambiya: özel kütüphane, yazma eseri.

Kaan, Habib Abdullah. *el-hakku fi künhi'l-kavm*, Bamako: özel kütüphane, yazma eseri.

Kaan, Habib Abdullah. *el-İsti'maru ve mülâhaketü'l-ebrâr*, Bamako: özel kütüphane, yazma eseri.

Kaan, Habib Abdullah. *el-verdetü ala nehci'l-bürde ve'n-nefesi'l-amberi fi'l-ma´temi'l-umeri*, Bamako: Matbaa mahallîye, ts.

Kaba, İmran. *eş-Şiir'ul-Arabi mine'l-Garbi'l-İfrîki hilale'l-Karni'l-işrin el-miladi*. İcesco: Menşûretü 'l-munazzame el-İslamiye li't-terbiye ve'l-ulum ve's-sekâfe, 2011.

Karky, Malam Ömer b. Ebubekir. *Kasidetü'n-nasârâ, Akra: Mektebetü Câmiatü legon*. Yazma eseri.

Keşşât, Muhammed Said. *A'lâmûn nine's-Sahara*, 1. bs. Beyrut: Dârü'l-Mülteka li't-tibaa ve'n-neşri, 1997.

Keşşât, Muhammed Said. *Nemâzicun Mine'ş-şiir'il-Arabi fi's-Sahara*, Beyrut: Şeriketü'l-mülteka li't-tibaa ve'n-neşr ve'tevzi, 1996.

Keşşât, Muhammed Said. Sahra-ul-Arap, Beyrut: Dâru Rüvvâd li't-tibaa ve'n-neşr ve't-tevzi, 1994.

Samba, Âmir. *el-Edebu's-Senegalî el-Arabi*. Cezair: eş-Şerike el-vataniye li'n-neşr ve't-tevzi, 1978.

Sekâfî, Osman Abdüsselam. *Tenbihü'l-ümmeti'l-islamiyeti*, Lagos: özel kütüphane, yazma eseri.

Şefi, Ahmed Muhammed. *er-Revâbitü et-tarihiye el-arîke beyne şimali İfrikya ve mentikatü cenûbi's-sahara el-Kübra ve İfrikya el-Arabiyye fi mecâli es-Sekâfe el-Arabiyye el-İslamiye*, Niamey: matbaa mahallîye, 1996.

Timbuktî. Ahmed Baba. *Mi'râcu's-sûd*, thk. Fatima el-Araf, Rabat: Ma´had ed-Dirâsâti'l-ifrîkiye, 2000.

Ture. el-hac Saad. *Es-Sevâ-iku'l-ilâhiye fi'r-redi ala türrehâti'l-kenâ-is el-miladiye*, Kazablanka: Dâru'r-resâd, ts.

Yakup, Yusuf. *Dirase tahliliye li harakâti'l-medh ve tatavvurihi fi medineti İlvern mine 1960 ila 1989 miladi,* İlvern: Câmiatü İlvern, Külliyetü'l-âdâp, Yüksek Lisans tezi, 1990.

Zeytuni, Muhammed el-Misbâh. *Fatrukû baba's-sema,* Lagos: özel kütüphane, yazma eseri.